

إيلي برّاك: موسيقي بحث عن القيم

الموسيقى ليست مهنة إنها حياة.

صحيح أنه عازف بيانو ومؤلف وموزّع موسيقي موهوب، عاش وحقق نجاحات في عواصم أوروبا، لكنه مثقف متمرد أيضاً، فأيلي برّاك الذي تسبقه موسيقاه إلينا حيث نكون، لا يزال يحمل طموح تغيير المفاهيم على مستوى الفنّ في هذا الوطن.

لعلّ الدافع الأول الى لقاء إيلي برّاك كانت الموسيقى التي وضعها للفيلم اللبناني "تاكسي البلد" وهو الفيلم الذي شارك في مهرجان دبي السينمائي والمنتظر أن يشكل حدثاً في عروضه المرتقبة في الصالات اللبنانية.

﴿ بعد نجاحاتك في الغرب، ماذا عن عودتك الى لبنان؟
- في مدينتي صيدا لم تكن لدينا مدارس للموسيقى بل معلمة بيانو واحدة هي السيدة جبور، وقد غادرت لبنان خلال الحرب الأهلية. كان حلمي أن أقيم هنا مدرسة لتعليم الموسيقى مستقداً لها أساتذة من الخارج، فعدت ثم دعيت إلى لندن للعمل مع المغنية البريطانية سارة برايت من، ثمّ عشنا هنا حروبا وظروفاً، لكن عبر تلاميذي في مدرسة "زهرة الإحسان" أحاول تحسين الذوق الموسيقي كجزء مما أطمح إليه في الثقافة العامة، وكوّنت كورال من خمسة وأربعين طفلاً.﴾

كنت أقول دائماً لتلاميذي الموسيقى ليست مهنة. إنها حياة، وهي ليست رياضيات أو علوماً لكنها علم يمكن أن يتفكّم. ﴿ وماذا عن الأغنية الخاصة بحملة إحدى المؤسسات الإنسانية (سيزوبال) التي حظيت بأصداء مهمّة أخيراً؟
- أغنيتي لـ "سيزوبال" كانت بطلب من شركة "ألفا"، فجاءت تحت عنوان we are only different أو "شو الفرق بيني وبينك". ووجدت الأغنية مؤثرة على قدر أهمية المؤسسة الإنسانية التي تعنى بالمعوقين، وأنا صديق هذه المؤسسة. ﴿ بعد نجاحاتك في الخارج، هل لأحلامك متسع هنا في لبنان؟
- بالنسبة إليّ لم يعد العالم مقسماً. لقد أصبحت أحلامي خارج المكان، فلبنان لم يعد لبنان، بل منطقة فيها مافيات تستخدم بعضها أو تأكل بعضها. الشعب لا يعرف ماذا يريد لذلك "ما في دولة"، لم يعد لديّ الحنين لأكتب للبنان أو لأتغزل بجماله الذي لم أعد أراه. في سفري كنت أتذكر بيروت من زمان فأجدها في موسيقى باخ، كنت أعود فأشتمّ رائحة البحر، أما اليوم فأشتم رائحة النفايات وأسلاك الكهرباء والأبنية البشعة. أصبحت أكتب للمعوق والخنثار والإنسان. ﴿ وما هي أحلامك الموسيقية خارج المكان؟

- كنت أقول دائماً لتلاميذي الموسيقى ليست مهنة، إنها حياة، وهي ليست رياضيات أو علوماً لكنها علم يمكن أن يتفكّم لتختاروا ما تسمعونه وما لا تسمعونه. هناك حدّ معين من القيم الفنية ليست موجودة اليوم بالإجمال، أبحث عن القيم التي مثل عاصي الرحباني. هو بالتأكيد استعان بشعراء وبمفكرين وبموزّعين، لكن شخصيته استطاعت أن تخلق حيوية وجوّاً ثقافياً يعيش لليوم. الآن لا يوجد مشروع وإنما أشخاص غير بارزين يكافحون وحدهم، لأن ذوق الناس هو الذي يخلق الإطار، وإذا قلت لي الحق على أيّ جهة مثل وزارة الثقافة، أقول لا، فهل يعقل أن تصنع أغنية مثل "ترشرش" ثورة في لبنان؟ تلك الاغنية صنعتها الإعلام لكي يرضي الناس، بالتالي فالإعلام هو مما يريده الشعب. ﴿ في عالمك الموسيقي بمن تأثرت؟

- كثيرون أثروا فيّ مثل زكريا أحمد ومحمد عبد الوهاب ووديع الصافي والرحابنة، وكوني ابن مدينة صيدا فقد تأثرت بتجويد القرآن الكريم والترتيل الكنسي بألوانه، أمّا الراحل فيلمون وهبي فهو موهبة ناصعة ليس لها تفسير، بينما الرحابنة لهم تفسيرهم العلمي، وإذا أردنا تحليل ألحان فيلمون لا أعتقد أنه كان يعرف سلفاً ماذا سيقدم "وكانوا يطلعوا معو الألحان هيك"، هذه الـ simple talent تحدّث عنها موزار الذي بدوره كان يبتكر الموسيقى من دون أن يفكر.

﴿ ومن أيّ وحي جاءت موسيقاك لفيلم "موطن قلبي" عن جبران خليل جبران؟
- مخرج هذا الفيلم القصير عن متحف جبران هو السينمائي الكبير ميلاد طوق، وبعدهما أطلعني على مشاهد منه كتبت الموسيقى على طريقة السمفونية الشعرية. الوحي الموسيقي كان بفضل القصة وهذه التربة التي تشبه جبران وتشبهنا. ﴿ نترقب بعد أسابيع الإستماع الى موسيقاك في الفيلم اللبناني "تاكسي البلد"، فماذا تخبرنا عنه؟

- الممثل طلال الجردى كان عرفني إلى مخرج الفيلم دانيال جوزف، جاء ذلك بعدما أحبّ الفنانون الأصدقاء موسيقى فيلم جبران، فطلبوا مني أغنية حبّ على طريقة الجاز، وبعدهما سجلناها عادوا وطلبوا مني أن أكتب موسيقى الفيلم كله، فعملت عليها عاماً كاملاً وسجلنا في صوفيا مع الفرقة السمفونية البلغارية، كما سجلنا الموسيقى الشرقية في لبنان، فموسيقى الفيلم موزعة بين الجاز والكلاسيك والشرقي. وهو يتحدث عن واقع إجتماعي لبناني من خلال شخصية سائق تاكسي. ﴿ كأنك مقلّ في الظهور على المسارح اللبنانية فهل من مشروع مقبل؟

- أنا ألعب موسيقى في أماكن يرتادها الذواق في بيروت مثل "بلونت" و"روزي"، وحضّرت مشروعاً ينقصه التمويل، والفكرة هي التجول بالكونسرت نفسه في القرى والمناطق الفقيرة، وأن يكون مجانياً.